إيران

زيارة تاريخية لبوتين إلى طهران: رسائل متعددة الاتجاهات

زيارة تاريخية بكل المعايير أجراها فلاديمير بوتين أمس لطهران. حملت في طياتها رسائل كثيرة عبّر عنها الاستقبال الإيراني اللافت، وأيضاً التجاوب الروسي الذي عكس في تفاصيله، مدى اهتمام الرئيس الروسي بتوطيد علاقته مع الجانب الإيراني

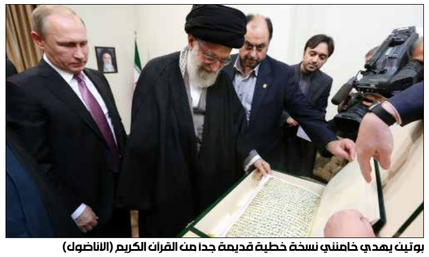
بوتين يهدي خامنئي نسخة خطية قديمة جداً من القرآن الكريم (الأناضول)

لم تكن زيارة الرئيس الروسي فلاديمير للجمهورية الإسلامية عادية، على مستويات مختلفة وكثيرة، فقد حظيت بخصوصية كبيرة، إن على مستوى الاستقبال الإيراني أو على مستوى أداء الرئيس الروسي نفسه، الذي وجّه، من خلال أدائه، رسائل متعددة الاتجاهات، تتمحور كلها حول حقيقة واحدة: روسيا تتجه لتعزيز التحالف مع إيران. سجل بوتين عدّة اختراقات للبروتوكول المتعارف عليه في أثناء الزيارات الدبلوماسية، كان أبرزها بتوجهه مباشرة للقاء المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي، قبل لقائه نظيره الإيراني حسن روحاني لإجراء مراسم الاستقبال، كما هي العادة.

بدأت الخصوصية الكبيرة التي حظيت بها هذه الزيارة، بوصول أسطول جوي روسي كان على متنه موكب الحماية الروسي وعدد كبير من الصحافيين والمرافقين، إضافة إلى صندوق أخضر كبير حمله رجلان إلى سيارات الموكب، فتح الباب أمام تساؤلات كثيرة عن محتوياته. انطلق الموكب من مطار مهرآباد غرب العاصمة إلى وسطها، حيث مقر إقامة المرشد الأعلى. الإجراءات الأمنية سمحت للرئيس الروسي بالوصول سريعاً، بعيداً عن زحمة السير الخانقة في العاصمة، فأغلقت الشوارع في ساعات مرور المواكب الرئاسية. هناك أنزل الصندوق وادخل إلى قاعة اللقاء ليكشف سرّه، بعدما أخرجت منه نسخة خطية قديمة جداً من القرآن الكريم، حملها بوتين من موسكو إلى طهران ليقدمها إلى خامنئي. هدية رمزية حملت دلالات كبيرة على عمق معرفة الرجل الروسي بالعقلية والاهتمام الإيراني، وأوحت بأن روسيا التي تحتضن عدداً كبيراً من المسلمين، حاضرة للتعاون مع القوى الإسلامية لمواجهة الإرهاب.

بوتين استبق زيارته طهران برفع الحظر المفروض على بيع وتسليم معدات تكنولوجية مرتبطة بالطاقة النووية، ولا سيما لموقعي فوردو وأراك النوويين الإيرانيين، عملاً بالاتفاق النووي، فيما أعلن السفير الإيراني لدى موسكو مهدي صانعي أن موسكو بدأت إجراءات تزويد إيران بنظام صواريخ "أس-300" المضادة للصواريخ، التي كان قد وقّع البلدان اتفاقاً بشأنها في التاسع من تشرين الثاني.

لكن الحرق الآخر الذي سجّله خلال الزيارة، تمثل بتأخره ساعة عن اجتماع قمة منتدى الدول المصدرة للغاز المنعقدة في طهران، بسبب لقائه المطوّل والاستثنائي مع خامنئي، الذي امتد على مدى ساعتين بمكن وصفهما بالتاريخيّتين، خصوصاً أنّ هذه المدة تُعَدّ سابقة في إطار لقاءات المرشد الأعلى مع زعماء الدول.

بعد اللقاء، أعلن المتحدث باسم الكرملين ديمتري بيسكوف أن روسيا وإيران لديهما "وجهة نظر واحدة بينهما، في مواجهة الطابع غير المقبول لمحاولات خارجية لإملاء فرضيات حول تسوية سياسية في سوريا"، وتؤكدان أن أي تغيير في القيادة يجب أن يأتي عبر انتخابات. وأضاف أن الاجتماع كان "بنّاءً جداً"، جرى خلاله "تبادل موسع للآراء بأدق التفاصيل".

كذلك نقلت لقطات تلفزيون تصريح بوتين خلال الاجتماع بأن "لا أحد يمكنه، أو يجب أن يفرض من الخارج على الشعب السوري، أي شكل من أشكال الحكم لدولته أو القول من ينبغي أن يتولى قيادتها. الشعب السوري فقط هو من يقرّر ذلك.

> **بوتين استبق زيارته برفع الحظر على معدات تكنولوجية مرتبطة بالطاقة النووية**

من جهته، رأى خامنئي أنّ المخطط الأميركي البعيد الأمد للمنطقة يضرّ بجميع الشعوب والدول، وخصوصاً إيران وروسيا، داعياً إلى العمل بوعي وتعاون أوثق لإحباط هذا المخطط. ووصف بوتين بأنه شخصية بارزة في عالم اليوم، ووجه الشكر والتقدير إلى جهود روسيا في القضية النووية الإيرانية، وقال إن هذه القضية وصلت إلى نتيجة، ولكنه أضاف: "إلا أننا لا نثق أبداً بالأميركيين ونراقب بعيون مفتوحة سلوك وأداء الحكومة الأميركية في هذه القضية".

ورأى خامنئي أن قرارات وإجراءات موسكو في القضية السورية أفضت إلى تعزيز مكانة روسيا الإقليمية والعالمية، والسيد بوتين شخصياً". وأكد أن "الأميركيين وأذنابهم يريدون في القضية السورية تحقيق أهدافهم سياسياً، وعند طاولة المفاوضات، بعدما فشلوا في تحقيقها عسكرياً، لذا ينبغي التصدي لهذا الأمر بوعي ومن موقف فاعل".

في غضون كل ذلك، انتظر الجميع وصول بوتين إلى قصر المؤتمرات شمالي طهران، حيث تعقد قمة الدول المصدرة للغاز، حيث شدّدت الكلمات على ضرورة إيجاد بيئة آمنة للاستثمار، وهو أمر غير موجود بفعل الحروب الدائرة في المنطقة، فسوريا هي محور مرور الغاز للجميع، تريدها روسيا وإيران للوصول إلى سواحل المتوسط، وتنظر إلى قطر كمحطة أساسية للعبور إلى أوروبا، فيما ترى تركيا عقبة أساسية تمثلت في إقرار المشروع الإيراني بمد أنابيب الغاز من خلال العراق باتجاه الشواطئ السورية، ما يضعف الأحلام التركية في حصة من الغاز أو الاستفادة من عمولة مرور الأنابيب عبر أراضيها.

بعد القمة، عقد الرئيسان الروسي والإيراني مؤتمراً صحافياً، أعلن فيه بوتين أنه يريد تعزيز العلاقات التجارية مع إيران. وقال إن "هناك خططاً لإقامة منطقة تجارة حرة بين الاتحاد الاقتصادي، الذي تقوده موسكو لدول الاتحاد السوفياتي السابق، وإيران، فضلاً عن زيادة استخدام العملة الوطنية في التجارة مع طهران".

من جهته، صرح روحاني بأن بلاده تسعى إلى زيادة التعاون مع موسكو،